جامعة الشهيد حمة لخضر ـ الوادي
معهد العلوم الإسلامية

الملتقى الدولي الأول

الوسطية في الغرب الإسلامي

وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا

الأحد والإثنين | 14-15 ربيع الأول 1439 هـ
03-04 ديسمبر 2017 م

المحور الرابع:

مكانة الوسطية في مناهج التّعليم في بلدان الغرب الإسلامي

جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي
معهد العلوم الإسلامية
بالتعاون مع
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
ينظم الملتقى الدولي الأول
الوسطية في الغرب الإسلامي
وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا
14-15 ربيع الأول 1439 هـ
03-04 ديسمبر 2017 م
الأحد والإثنين
قاعة المحاضرات الكبرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله
القطب الجامعي حي الشط - الوادي

الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي
ودوره في تعزيز الوسطية لدى النسيج الاجتماعي المغاربي

بقلم
د. حميد مسرار
كلية الآداب ـ جامعة محمد الأول ـ وجدة ـ المملكة المغربية
hamidmesrar@hotmail.fr

ملخص البحث

لا خلاف في أهمية التربية في تكوين الإنسان ورسم معالم هويته الحضارية.فهي أهم عملية يخضع لها الإنسان في حياته وعليها يتوقف نموه، وهي سبب من أسباب رقي الأمم، وإليها المرجع في تكوين فكر الوسطية، وعليها تقوم أصول العلاقات المجتمعية..وإذا كان الفكر التربوي في الدول المغاربية يمثل شهادة صادقة على العصر بشتى أوضاعه المجتمعية وأحواله الإنسانية فإنه لا زال يعيش على تعثر في تبني استراتيجيات واضحة تؤسس لمنظومة تربوية تستمد أصولها من هويتها ومرجعيتها لا من فكر غربي تقلده بحكم تقليد الغالب للمغلوب.

لقد عانت بلداننا المغاربية أشكالا متعددة من التطرف، ولا شك أن خلل التربية كان حاضرا إذ لولا تبني فكر مجانب للوسطية ما زهقت أرواح كثير من المواطنين التواقين لخدمة بلدهم، إن أزمة الفكر التي تعاني منها البلدان المغاربية هي الأرض الخصبة التي أدت إلى ظهور كثير من الفرق المتشددة والتي زرعت أفكار التشدد في شبابنا المشتاق لمعرفة دينه و منهج التربية الوسطية.

من هذا المنطلق جاء البحث ليقف عند إشكال رئيس يتمثل في دور الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي في تمكين البلدان المغاربية من فكر الوسطية ولا شك أن هذا الإشكال يتفرع عنه أسئلة فرعية من بينها :

ما الأُصول التي يقوم عليها الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي؟

ما مقومات و معوقات الوسطية في البلدان المغاربية ؟

كيف نستثمر الأصول التربوية عند الإمام الشاطبي في تعزيز مفاهيم الوسطية؟

وعليه، قسمت هذا البحث إلى أربعة مباحث جعلت المبحث الأول لدراسة المفاهيم و الثاني للوقوف عند أسس التربية عند الإمام الشاطبي والثالث لبيان مقومات و معوقات الوسطية في المجتمع المغاربي والرابع لبيان دور الفكر التربوي للإمام الشاطبي في تعزيز مفاهيم الوسطية.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد، فلا خلاف في أهمية التربية في تكوين الإنسان ورسم معالم هويته الحضارية.فهي أهم عملية يخضع لها الإنسان في حياته وعليها يتوقف نموه، وهي سبب من أسباب رقي الأمم، وإليها المرجع في تكوين فكر الوسطية، وعليها تقوم أصول العلاقات المجتمعية. وإذا كان الفكر التربوي في الدول المغاربية يمثل شهادة صادقة على العصر بشتى أوضاعه المجتمعية وأحواله الإنسانية فإنه لا زال يعيش على تعثر في تبني استراتيجيات واضحة تؤسس لمنظومة تربوية تستمد أصولها من هويتها ومرجعيتها لا من فكر غربي تقلده بحكم تقليد الغالب للمغلوب، وإذ نقر بحاجتنا إلى فكر تربوي جديد يمكن من معالجة كثير من الأوضاع المجتمعية التي أضحت تئن معها مجتمعاتنا المغاربية فإن الوقوف عند معالم الفكر التربوي لشيخ المقاصديين الإمام الشاطبي قد يمكن هذه البلدان من فكر تربوي متجدد يؤهل أرباب التربية من تأهيل جيل جديد يؤمن بالوسطية ويحارب كل أشكال العنف و التطرف.

لقد عانت بلداننا المغاربية أشكالا متعددة من التطرف، ولا شك أن خلل التربية كان حاضرا إذ لولا تبني فكر مجانب للوسطية ما زهقت أرواح كثير من المواطنين الثواقين لخدمة بلدهم، إن أزمة الفكر التي تعاني منها البلدان المغاربية هي الأرض الخصبة التي أدت إلى ظهور كثير من الفرق المتشددة والتي زرعت أفكار التشدد في شبابنا المشتاق لمعرفة دينه و منهج التربية الوسطية. من هذا المنطلق جاء البحث ليقف عند إشكال رئيس يتمثل في دور الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي في تمكين البلدان المغاربية من فكر الوسطية ولا شك أن هذا الإشكال يتفرع عنه أسئلة فرعية من بينها :

ما الأُصول التي يقوم عليها الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي؟

ما مقومات و معوقات الوسطية في البلدان المغاربية ؟

كيف نستثمر الأصول التربوية عند الإمام الشاطبي في تعزيز مفاهيم الوسطية؟

لقد أنجزت مجموعة من البحوث حول الفكر التربوي للإمام الشاطبي مثل:

نظرية التربية عند الشاطبي"- دراسة تحليلية لكتاب الموافقات- وهو بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من كلية التربية بجامعة أم القرى من إعداد – جوبير ماطر نجم الثبيتي إشراف الدكتور بشير التوم . وتحدثت الرسالة عن ماهية التربية عند الشاطبي وموضوعها وصلتها بالعلوم الأخرى ثم عن مبادئ التربية وأسسها ثم عرّج بعدها إلى نظريات التربية وأهداف التربية.

أسس التعلم الفعال حسن قايدة. وتحدث فيه الباحث عن المنهاج التربوي عند الإمام الشاطبي وأسس التعلم الفعال عنده و كذلك عن تصنيف العلوم

التربية عند الشاطبي " لـ أ.د. يوسف القرضاوي – نشر في حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد التاسع، 1412هـ – 1991م .أشار فيه إلى أسس التربية عند الشاطبي وتحدث فيها عن

المعلم والطالب والمعرفة و الطريقة

الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي " مقالة لـ أ.د محمد الدسوقي . مجلة المنهل، العدد (526) 1416هـ – 1995م .

الشاطبي وآراء تربوية متجددة " لـ الزبير مهداد – مقالة في مجلة الفيصل، العدد (251)، 1418هـ – 1997م .

منهج التربية والتعليم عند الشاطبي " مقالة لـ عبد الجليل بادو، منشورة في مجلة المربي – تطوات – المملكة المغربية – العدد (4)، 1994م .

وبالرغم من أهميتها في تجلية الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي فإن حاجتنا لربطه بمفاهيم الوسطية قد يكون له من الأهمية ما يكون خاصة في ظل وجود انفصام عميق بين مفاهيم التربية و الواقع بل وتنامي فرق تؤسس منظومتها المتشددة على التربية والفكر.

وعليه، قسمت هذا البحث إلى أربعة مباحث جعلت المبحث الأول لدراسة المفاهيم و الثاني للوقوف عند أسس التربية عند الإمام الشاطبي والثالث لبيان مقومات و معوقات الوسطية في المجتمع المغاربي والرابع لبيان دور الفكر التربوي للإمام الشاطبي في تعزيز مفاهيم الوسطية.

المبحث الأول :دراسة المفاهيم

التربية في اللغة : تأتي كلمة التربية بمعنيالتنمية والزيادة والتنشئة فيقال :

1- رب يرب بوزن مد يمد بمعنى أصلحه و تولى أمره

2- ربى يربى على وزن خفى و معناها نشأ و ترعرع

3- ربا يربو بمعنى زاد و نما

واصطلاحاً: عرفها أحمد عمر في كتابه فلسفة التربية في القرآن بأنها:" تنمية الوظائف الجسمية، والعقلية، والخلقية، والجمالية، والترويحية، والدينية ، والاجتماعية لدى الإنسان؛ كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف وأنها علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها، وعواملها الأساسية وأهدافها[1]

إن التربية هي التي تأخذ بلبّ المرء فتجعله يرتقي من حال إلى أحسن، في العمل والمعتقد ونحوهما، وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: التربيةُ إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام.

- أما الفكر التربوي : فهو التصور المتكامل لفلسفة التربية وأصولها وأسسها وغايتها وأهدافها [2]

الوسطية : لا تخرج معاني الوسطية في اللغة عن: العدل والفضل والخيرية والنِّصف والبينية والتوسط بين طرفين ولا يصح إطلاق مصطلح (الوسطية) على أمر إلا إذا توفرت فيه الملامح التالية[(3)]:

---

[1] فلسفة التربية في القرآن عمر أحمد عمر ص 28 دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع 2001

[2] الفكر التربوي عند ابن القيم، الحجاجي، حسن بن علي بن حسن دار حافظ، جدة، ص 24. (1408هـ – 1988م).

[(3)] الوسطية من أبرز خصائص هذه الأمة، عبد الحكيم بن محمد بلال مجلة البيان،

http://www.islamdoor.com/k/368.htm

1- الخيرية:وهي تحقيق الإيمان الشامل، يحوطه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- الاستقامة:وهي لزوم المنهج المستقيم بلا انحراف، فالوسطية لا تعني التنازل أو التميع أبداً.

3- البينية: وذلك واضح في كل أبواب الدين، فالصراط المستقيم بين صراطي المغضوب عليهم والضالين.

4- اليسر، ورفع الحرج: وهي سمة لازمة للوسطية.

5- العدل والحكمة.

أما في الاصطلاح: فقد ذهب الدكتور وهبة الزحيلي إلى أنّ المقصود بالوسطية هو الاعتدال، فقال:" والوسطية في العرف الشائع في زمننا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا استسلام ولا خضوع ولا عبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تهاون، ولا تقصير ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى ولا حقوق الناس وهو معنى الصلاح والاستقامة "[4].

المبحث الثاني :أسس الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي

أكدت أغلب الدراسات التي اشتغلت بكتب الشاطبي أنه أولى عناية خاصة للتربية مكنته من أن يتبوأ مكانا متقدما في كتابات التربويين، وعليه فإن الوقوف عند أهم الأصول التي يقوم عليها فكر الشاطبي التربوي هو الأساس لكشف المنطلقات التي يجب أن ينطلق منها في التربية في البلدان المغاربية بل الأساس في تمكين المجتمع المغاربي من فكر الوسطية الذي يعد مرتكزا في فهم الدين القويم. وعليه يمكن إجمال أصول فكرالشاطبي التربوي في ما يلي :

القطعية: ينطلق الشاطبي في تأسيس منظومته التربوية من اعتبار أصول التربية قطعية قياسا على أصول الفقه الذي ارتقى به إلى مرتبة القطع والعلم اليقيني.يقول الشاطبي : إن أصول الفقه في الدين قطعية لا ظنية والدليل على أنها راجعة إلى كليات الشريعة وما كان كذلك فهو قطعي بيان الأول ظاهر بالاستقراء المفيد للقطع و بيان الثاني من أوجه، أحدها أنها ترجع إلى أصول عقلية وهي قطعية وإما إلى الاستقراء الكلي مكن أدلة الشريعة، و ذلك قطعي و الثاني أنها لو كانت ظنية لم تكن راجعة إلى أمر عقلي، إذ الظن لا يقبل في العقليات ولا إلى كلي شرعي لأن الظن إنما يتعلق بالجزئيات وأعني بالكليات هنا الضروريات والحاجيات والتحسينات[5].

وعليه، فاعتبار أصول التربية قطعية معناه أن الفكر التربوي ينبني في منطلقاته ومرجعياته على الأصول العقلية والاستقراء، ذلك بأن الاجتهاد خارج تلك الأصول هو تغيير لها وانفصام عن إطارها الذي يحدد مصادرها ومنهجها، فلو جاز البناء على الظن لجاز قبول الشك ولو جاز قبول الشك لجاز قبول تغيير الأصول التربوية وتبديلها.ولما كانت أصول التربية قطعية وجب التمييز بين مجالين في التربية :

[4] الوسطية مطلباً شرعياً وحضاريا، د. وهبة الزحيلي المركز العالمي للوسطية، سلسلة الأمة الوسط، ص5.

[5] الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق الشيخ عبد اله دراز 1/ 21، دارالحديث، القاهرة، 2006.

مجال الكليات التربوية وهي المتعلقة بالتوجهات الكبرى والاختيارات المتصلة بالرؤية للمنطلقات والأهداف والمقاصد ومجال الظنيات وهو مجال متصل بالمتغيرات التي تتغير حسب الزمان والمكان والأحوال.

من هنا نقول بأن التوجهات الكبرى للتربية والرؤى الاستراتيجية يجب أن تستقى من مصادر التربية القطعية التي تحفظ لهذه الأمة هويتها وتصون ثقافتها وترتقي بها إلى مصاف الدول المتقدمة.

إن أزمة الفكر التي تعيشها الأمة سببها الأساس هو تبخيس مصادر منظومتنا التربوية القطعية ومحاولة استمداد أصولها من فكر غير فكرنا، لذا فكل التجارب التي جربت في منظوماتنا التربوية باءت بالفشل و عليه نقول بأن أول مرتكز يجب الحفاظ عليه هو اعتماد القطعية في الأصول التربوية.

المقاصدية: ناقش الشاطبي موضوع المقاصد مناقشة مستفيضة في كتابه الموافقات وقسمه تقسيمات متناسقة تدل على التجديد الذي جاء به لفهم نصوص الشرع وتنزيلها على الواقع، ولما كان أمر التربية مندرجا تحت الأحكام الشرعية فقد أكد أن أصول التربية لا يمكن أن تخرج عن المقاصدية، يقول رحمه الله :كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي وأعني بالعمل عمل القلب و عمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا.[6]

وتظهر ملامح المقاصدية في الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي من خلال تأكيده على مجموعة من الأمور من بينها :

أ-بناء الفكر التربوي على المقاصد الأصلية التعبدية: وهذه المقاصد لاحظ فيها للمكلف وهي الضروريات المعتبرة في كل ملة[7]وهذا النوع من المقاصد مصالحه عامة ومطلقة لا تتعلق بحال دون حال أو وقت دون وقت، ولهذا كانت خالية من حظوظ العبد. وعليه فإن الفكر التربوي يجب أن يكون متشبعا بروح التعبد والبناء على المقاصد الأصلية يقول الشاطبي رحمه الله :كل علم شرعي فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى، لا من جهة أخرى، فإن ظهر فيه اعتبار جهة أخرى فبالتبع والقصد الثاني لا بالقصد الأول.[8]من هنا نقول بأن الاختلالات التي تعرفها منظومة التربية سببها الأساس هو عدم بناء أصولها على المقاصد التعبدية وذلك لأن مقصد التعبد هو روح العمل و الباعث عليه، بحيث ترجع كافة تصرفات المسلمين كيفما كانت تعبدية أو عادية إلى أن تكون لله عز وجل، لذلك فغيابه هو تمسك بالظواهر لا الجواهر وبالألفاظ لا المعاني فينطلق البناء من حظوظ النفس والهوى لا من أصول الشريعة .

ب-المصالح : أكد الشاطبي أن الشريعة جارية على مقتضى المصلحة الحقيقية لا الوهمية، واعتبر ذاك سرا عظيما في الإقبال على الشريعة، فالإنسان كائن اجتماعي يثار بمصلحته ويستجيب للشيء بقدر ما يجد فيه من

---

[6] الموافقات 32/1

[7] الموافقات 476/2

[8] الموافقات 60/1

منفعة والنفس البشرية مركبة على أساس أنها تبذل من الجهد بالقدر الذي ستأخذ من المنافع و المصالح.[9]

لذلك فالفكر التربوي لا يغيب حظوظ الأفراد شريطة ألا تعود على الأصلية بالإبطال حتى يحصل لهم ما جبلوا عليه من نيل للشهوات و الاستمتاع بالمباحات وسد الخلات.

3-التعلم الفعال: التعلم الفعال هو ذلك التعلم الذي يمنح المتعلمين الطاقة الحيوية الدافعة للحركة والنشاط والتغيير، فهو يطلق جميع قدرات ومهارات الطفل والمتعلم للإنجاز والعطاء و الإبداع.[10]

ونظرا لأهميته في تكوين جيل جديد يؤمن بالفاعلية في المجتمع فقد وضع له الشاطبي مجموعة من المعايير تجعله يؤدي وظيفته على الوجه الأكمل من بينها :

-الاشتراك في فهم الخطاب: بحيث يكون الخطاب المراد تبليغه قريبا مفهوما من الجميع يتنزل على كل فئة بحسب خصوصيتها النفسية والعمرية والمعرفية بحيث تصل الرسالة وتحدث فعلها وتأثيرها على كل واحد على حدة بذلك القدر المشترك فالذي يصح في مسلك الأفهام والفهم ما يكون عاما لجميع العرب، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الألفاظ و المعاني، فإن الناس في الفهم ليسوا على وزان واحد ولا متقارب إلا أنهم يتقاربون في الأمور الجمهورية وما والاها وعلى ذلك جرت مصالحهم في الدنيا، فكذلك يلزم فهم الكتاب والسنة بحيث تكون معانيه مشتركة لجميع العرب، ولذلك أنزل القرآن على سبعة أحرف واشتركت فيه اللغات حتى كانت قبائل العرب تفهمه [11]

-مراعاة معهود المتعلم: ومعناه أن يستشعر المتعلم أن التعلمات من جنس ما عنده مما جرت به عوائده فتنزل على نفسه منزلة ما يعهده حتى لا يتنصل ويتراخى بذريعة أن هذا العلم لا صلة له به من قريب أو بعيد.واستدل الشاطبي على ذلك بأن اعتبار معهود العرب جعل القران لا يذكر من الفاكهة إلا ما كان عندهم مألوفا معروفا دون سواه فلم يذكر القران التفاح و الموز والكمثرى وغير ذلك من فواكه الأرياف وبلاد العجم، بل أجمل ذلك في لفظ الفاكهة.[12]

-الاعتراف بالعوائد المستقرة: سنن الله هي مجموع القوانين الثابتة التي تحكم هذا الوجود في كل مكوناته وأبعاده.

ولذلك فالنظر في السنن الجارية التي تحكم أحوال المجتمعات في قيامها ونهوضها وسقوطها هو منهج الفاعلية الحضارية إذ لا يمكن للنهضة أن تحصل إلا بفقه العوائد الثابتة والعلم بأحكامها وقوانينها وكيف تسير وأنها تسير وفق موازين لا تتبدل ولا تتغير بسبب الزمان و المكان و الأحوال.

-مراعاة الأولويات في التدريس: قسم الشاطبي العلم إلى ثلاثة أقسام:قال رحمه الله:العلم ما هو من صلب

---

[9] خصائص التعلم الفعال عند أبي إسحاق الشاطبي تأصيل الرؤية وتجديد النظر ، حسن قايدة، سلسلة بحوث تربوية محكمة، المركز الجهوي لمن التربية والتكوين، وجدة ص 88.

[10] نفسه ص61.

[11] الموافقات 2/320.

[12] الموافقات 2/315.

العلم ومنه ما هو من ملح العلم لا من صلبه و منه ما ليس من صلبه ولا من ملحه [13]

ووضع لكل قسم معاييره الخاصة التي تدل على وجوب استحضار الأولويات في بناء المناهج التربوية كما تدل على وجوب تدريس ما فيه فائدة ونفع لا تدريس ما يكدر الأفهام و يخرجها عن مهامها الحضارية .

4_الانفتاح : فتحت الشريعة الباب لمسألة الإبداع في مجال العاديات تطبيقا لحديث رسول الله: أنتم أعرف بأمور دنياكم [14]واعتبرت المصلحة المرسلة دليلا شرعيا يقول الشاطبي:"والثاني لا توجد مظنة العمل به، ثم توجد فشرع له أمرا زائدا يلائم تصرفات الشارع في مثله وهو المصالح المرسلة"[15] لذلك فالانفتاح في مجال التربية هو اجتهاد عقلي يسترشد بنور الوحي إذ العادة تحيل استقلال العقول بادرك مصالحها ومفاسدها.فيبدع من الأفكار والنظريات ما يساعد على تربية المجتمع، ولاشك أن الباحث في مصادر الشريعة الأصلية والفرعية قد يجد ما يسعفه لبناء نظريات تربوية أصيلة تمكن بلوغ المجتمع من أعلى مراتب التربية .

إن الشريعة لم تجعل العقول متحجرة بل فتحت لها الباب في التفكر و البحث عن الحلول المجدية للوقائع المستجدة، ولا شك أن عالم التربية يعرف من الأمور المستجدة ما قد تستفيد به الأمة في مسيرة تربية أبناءها. ولذلك فالانفتاح ركن أساس من أركان نظرية الشاطبي التربوية.

المبحث الثالث: الوسطية في المجتمع المغاربي : مقومات ومعوقات

يحمل المجتمع المغاربي من مقومات الوسطية الشيء الكثير، فهو يتبنى مذهبا فقهيا يقوم على الوسطية ويحمل كلمعاني الأخوة المجتمعية كما ينفتح على الحضارات الأخرى بحكم بعده الاستراتيجي إلا أنه في مقابل ذلك يعيش مجموعة من المعوقات التي تخدش في مكتسبات الوسطية من أمية وتدخل غربي فيخلق عدم الأمن و ظهور سلفية جهادية في بعض مناطقه و هذا ما سنحاول دراسته بنوع من التفصيل.

-مقومات الوسطية: مظاهر الوسطية في النسيج الاجتماعي المغاربي كثيرة، فبالإضافة إلى المذهب المالكي نجد مفاهيم الأخوة المجتمعية كما نجد الانفتاح على الثقافات الأخرى، ولا شك أن كل ذلك أهله ليكون مجتمعا ينبذ كل ألوان العنف والتطرف.

-المذهب المالكي: يعد المذهب المالكي من الثوابت الدينية التي صيغت على أساسها الشخصية المغاربية وذلك لما فيه من وسطية واعتدال، كما أن علماء المغاربيين أغنوا المذهب المالكي بمجموعة من المصنفات امتزج فيها "العقل بالنقل والأثر بالنظر" وأصبحت القيم المالكية راسخة في طباع أهل الغرب الإسلامي.

إن خاصية الاعتدال والوسطية في المذهب المالكي لا تحتاج إلى تكلف أو طول تأمل، فهي ناصعة وظاهرة من خلال واقعيته، وقيامه على منهج اليسر والانفتاح ومبدأ الجمع بين الرأي والسمع، والنص والاجتهاد و الأثر والنظر والمواقف والمناهج.

---

[13] الموافقات 1/51-52.

[14] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا دُونَ مَا ذَكَرَهُ –صلى الله عليه وسلم– مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ لرَّأْيِ.رقم 6277.

[15] الموافقات 3/52.

وقد تبوأ هذه المكانة بسبب تضافر عوامل كثيرة نذكر من بينها نشأته بالمدينة وتشبعه بالتعليل والمعقولية، والتفاته إلى المصلحة ومراعاته للمقاصد.وعليه فإن سعة المذهب وغزارة مصادره جعلته ينتشر في ربوع الأرض المغاربية كما جعلته قبلة لأهل المغرب الذين ارتضوه مذهبا لهم .

-الأخوة المجتمعية : الأخوة هي أكبر دليل على الوسطية التي تربت عليها مجتمعاتنا المغاربية، فبالإضافة إلى الانتماء العروبي بحيث يعيش في كل من المغرب و الجزائر وتونس شعب واحد متكون من سلالات واحدة نجد أعراق أخرى وأقليات تعيش الأمن و الاستقرار والمحبة كما نجد التكامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني .

إن الأخوة في المجتمع المغاربي كرست ولا تزال قيم التضامن والتكافل، والتعاون و التآزر في أشد الظروف قساوة، فهو مجتمع يعيش فيه جميع الأطياف رغم اختلاف دياناتهم، وما تواجد اليهود في بعض المناطق المغاربية إلا دليل على ذلك.

لقد ظلت الأخوة المجتمعية صمام أمان لفكر الوسطية الذي يقبل الاختلاف وينبذ كل أفكار التفرقة والتشرذم.

-الانفتاح: تقع منطقة المغرب العربي في شمال القارة الإفريقية وتتكون من المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا وتتربع على مساحة إجمالية قدرها 1108202كلم حباها الله بمميزات طبيعية وموضعا جغرافي متميز إذ تعتبر محور تلاقى أربعة أبعاد جيو استراتيجية مترابطة بداية بالبعد المتوسطي وامتداده إلى أوروبا شمالا فالبعد الإفريقي من ناحية الجنوب ثم البعد الشرق أوسطي وامتداده إلى الخليج من جهة الشرق وأخيرا البعد الأطلسي من ناحية الغرب مما يجعل المنطقة المغاربية منطقة تماس بين ثلاث قارات هي: إفريقيا وأوروبا وأسيا [16]

وتكتسي هذه البلدان الخمسة مميزات طبيعية متجانسة فوحدة تضاريسها ظاهرة للعيان وتمتلك في الوقت نفسه مناطق صحراوية مترامية الأطراف وواجهة بحرية مهمة إذ لها ساحل على البحر الأبيض المتوسط طوله أكثر من 3000كلم و آخر على المحيط الأطلسي يفوق 2000 كلم كما أن المنطقة المغاربية بتعدادها السكاني المتزايد يعد سوقا تجاريا و استهلاكيا مهما ويتوقع أن يصل عدد سكانها سنة 2025 إلى 120 مليون، لذلك ظلت شعوب هذه البلدان منفتحة على الثقافات الأخرى بحكم وجود المستعمر على أراضيها ردحا من الزمان وبحكم بعدها الجغرافي، وعليه فقد ظلت علاقات الشعوب المغاربية بغيرها من الشعوب علاقات طيبة لا تحاول النيل منها بل تحترمها وتحاول التواصل معها، من هنا كان كل فكر مجانب للوسطية هو فكر مرفوض لهذا المجتمع لما عرفه من انفتاح على الثقافات الأخرى.

-معوقات الوسطية في البلدان المغاربية: معوقات الوسطية في البلدان المغاربية معوقات خارجية وداخلية، إذ لاشك أن تدخل القوى الخارجية كان له أثر كبير في خلق عدم الاستقرار وظهور فكر متطرف كما أن غياب

[16] التنافس الدولي في منطقة المغرب العربي ورقة مقدمة في ندوة المغرب العربي و التحولات الراهنة الإقليمية الراهنة 17شباط2013 فبراير.

التنمية في هذه البلدان جعل أفكار اليأس والتكفير تغزو خلد كثير من شبابها مما جعل التأثير عليهم سهل المنال من بعض الفرق المتشددة وهذا ما سنحاول عرضه بشيء من التفصيل.

-التدخل الغربي لخلق عدم الاستقرار في الربوع المغاربية: يعتبر التقسيم السياسي للمغرب العربي وليد التقسيمات الناتجة عن توزيع مناطق النفوذ بين القوى الاستعمارية الكبرى في إفريقيا دون مراعاة عوامل الجغرافيا الطبيعية و خصائص المجتمعات المغاربية المتجاورة مما أدى إلى خلق بؤر للتوتر و النزاع [17]

لقد خلف التقسيم الاستعماري لدول المغرب العربي أزمات خطيرة آلت في كثير منها إلى نزاع مسلح خاصة مما يؤكد أن أصل هذه الخلافات هو التقسيم الاستعماري لتلك الحدود والذي هدف من خلاله المستعمر بث روح الفرقة و الاختلاف لا روح الوحدة والتضامن.

-البعد الأمني: لقد عانت البلدان المغاربية أزمات أمنية جعلتها قبلة لبعض المتشددين، فالجزائر عانت من عشرية مليئة بالقتل والإرهاب، والمغرب عانى من هجمات إرهابية أرادت أن تعصف باستقراره، ولم تسلم ليبيا وتونس من تمركز السلفية الجهادية على أراضيها، إضافة إلى مشكل القطر المالي ومشكل الأزواد والذي شكل بؤرة توتر دائمة، فالمنطقة تعيش تهديدات متعددة يضاف إليها تجارة المخدرات وانتشار الإرهاب الدولي والفقر والهجرة الغير الشرعية.كما تعرف تنامي موجات الإرهاب وتركيز تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي على منطقة شمال إفريقيا وهذا يؤكد أن عدم الاستقرار هو مدعاة لظهور الفرق المتشددة.

-الإشكالات الاجتماعية و الاقتصادية : تعيش الشعوب المغاربية إشكالات اجتماعية متعددة، فلازالت نسب البطالة والفقر مرتفعة، ولا زال البحث عن حلم حياة كريمة خارج الديار طموح الشباب المغاربي، بل لا زالت تجارة المخدرات والتهريب من الأمور التي بدأت تدق ناقوس الخطر في أوصال اقتصاد المجتمع المغاربي، وهذا ما سنحاول توضيحه بنوع من التفصيل:

-الفقر : تعيش منطقة المغرب العربي نسبة فقر مرتفعة بلغت٪ 14.2[18] في المائة في المغرب و٪5.3في المائة في الجزائر بحسب تصريحات رسمية و٪35بحسبتصريحات غير رسمية[19]و في تونس٪ 15.7وفي موريتانيا بنسبة 46.7.

نسب تدل على فشل الحكومات في سياستها الاقتصادية بل في اتخاذ قرارات لإصلاح منظوماتها الاقتصادية

إن غياب سياسة اقتصادية واجتماعية واضحة المعالم زاد من إفقار المجتمع المغاربي التي حلم ولا يزال بغد أفضل ورفاه اجتماعي يبعده عن قلة ذات اليد ومعاناته اليومية لذلك فلم يعد ينظر شبابه إلا للهجرة للبحث عن غد أفضل.

---

[17] العلاقات الجزائرية المغربية في فترة الحرب الباردة عتيقة نصيب بحث لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية جامعة محمد خيضر بسكرة ص 53

[18] المندوبية السامية للتخطيط

[19] ظاهرة الفقر في الجزائر وآثارها على النسيج الاجتماعي في ظل الطفرة المالية البطالة و التضخم د حاج قويدقورين الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية العدد 12 جوان 2014 ص 19

-الهجرة : تعتبر الهجرة من بلدان المغرب العربي ظاهرة قديمة ارتبطت بالوضع الاستعماري الذي جعل من الحاجة إلى اليد العاملة سببا للحض عليها بكل الوسائل و الطرق، إلا أنه و بعد الانتهاء من مهمات التعمير وضعت هذه البلدان الاستعمارية قيودا انتقائية حرمت كثيرا من الشباب المغاربي الطامح لتحقيق حياة كريمة من حلمه . فالمجتمع المغاربي مجتمع شاب تبلغ نسبتهم ٪ 54.6 كما يعرف ارتفاع نسب البطالة التي بلغت 9.8٪ في كل من المغرب والجزائر و 17.5٪ في تونس.

لذلك كانت الهجرة بالنسبة للشباب المغاربي المخرج الوحيد للانعتاق من الفقر والطريق الأوحد لتحقيق الحياة الكريمة وقد صور فليبي كونزالس رئيس الحكومة الإسبانية مسألة الهجرة لدى المغاربيين بقوله: لو كنت من دول الجنوب لحاولت الهجرة و لو أمسكوني لحاولت مجددا[20] وهي صورة تعبر عن حال كثير من المغاربيين الذين لم يجدوا بدا من تحسين أوضاعهم الاقتصادية سوى طريق الهجرة.

-الإشكال الاقتصادي : بالرغم من المقدرات المهمة التي تمتلكها البلدان المغاربية فلا شك أنها تعاني من إشكالات اقتصادية عميقة أثرت بشكل لافت على معيشة المجتمع المغاربي، فغياب الاندماج المغاربي يكلف دول اتحاد المغرب العربي خسائر اقتصادية تقدر بنحو ثلاثة في المئة من الناتج الإجمالي، في منطقة تضم سوقها الاستهلاكية نحو تسعين مليون شخص وثروة إجمالية تقدر بنصف تريليون دولار وفائضاً مالياً وصل إلى سبعا وعشرين بليون دولار عام 2012، واحتياطاً بالعملات الصعبة تجاوز ثلاث مئة واثنان وخمسين بليون دولار. وتجارةبينية هي الأقل اندماجاً في العالم حيث تقل النسبة عن ثلاثة ي المائة من المبادلات،

وبالرغم من تكاملها الافتراضي وخيراتها الضخمة في مجالات الطاقة والزراعة والسياحة والمعادن، وثرواتها الطبيعية والبشرية وقربها من الأسواق الأوروبية والعربية والإفريقية[21] فلازال المجتمع المغاربي يعيش معاناة كبيرة، وخاصة سكان المناطق الحدودية التي لا تتوفر على اقتصاديات مهيكلة بل وتجد عوائق جمة في نقل السلع ورؤوس الأموال، وهذا ما أبرزته رئيسة صندوق النقد الدولي حينما أكدت أن إغلاق الحدود بين المغرب والجزائر يفوت على المنطقة فرص تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ونسبة 1.5 في المائة من النمو لكل دولة.

بل ما أكدته المندوبية السامية للتخطيط حول معيشة الأسر المغربية حيث بينت أن سبعا وثلاثين في المائة من الأسر المغربية يلجأون إلى الاستدانة [22] ولا شك أن ذلك دأب جميع الأسر المغاربية التي تأثرت بقيم استهلاكية عولمية غيرت من طبيعة عيشها وحتى من أولوياتها لتدق ناقوس الخطر في وجه الحكومات التي لا زالت تنظر إلى الأمر بمقاربة أمنية فقط .

-التهريب : يعرف التهريب بأنه كل فعل يتعارض مع القواعد التي حددها المشرع بشأن تنظيم حركة البضائع عبر الحدود[23] وهي ظاهرة تعرفها كل المدن الحدودية وتزيد وتنقص بحسب علاقات الجوار والوضع الاقتصادي.

---

[20] الجزيرة نت حوار لسامي حداد في برنامج القلعة الأوربية و زحف الهجرة الإفريقية 18 يوليوز 2006

[21] تقرير لوكالة ميدي 1 الجمعة 1 غشت 2014

[22] المندوبية السامية للتخطيط

[23] ظاهرة التهريب و انعكاساتها على اقتصاديات الجهة الشرقية ص 20 ادريس حوات غرفة التجارة والصناعة 2004

من هنا كان نقص الموارد المالية للدولة بسبب عمليات التهريب يترتب عنه عدم قدرة الدولة على تغطية النفقات العمومية ويقلص من دورها في التكافل الاجتماعي عن طريق الإعانات والمساهمات الاجتماعية التي تؤدي إلى إعادة توزيع المداخيل لفائدة الطبقات المحدودة الدخل مما يترتب عليه ارتفاع معدلات التضخم والبطالة [24].

وإذا كانت أغلب الدول تشتكي من ظاهرة التهريب باعتباره ينخر من اقتصادياتها فلا شك أن كثيرا من الأسر تقتات من هاته الظاهرة بل إن اقتصادياتها قائم عليها في ظل تنامي نسب البطالة وعدم وجود سياسة اقتصادية تحميها.

-تجارة المخدرات : تعد منطقة المغرب العربي مرتعا خصبا لتجارة المخدرات، ذلك بأن انتشار ظاهرة التهريب جعل منها تجارة رائجة خاصة بين المدن الحدودية التي أضحت عنوانا لمافيا تتاجر في صحة الناس وعقولهم.لقد خلفت تجارة المخدرات أضرار بالغة في صفوف كثير من الشباب بل معاناة شديدة لكثير من الأسر حيث أصبحنا نطالع كثيرا من المشاكل القيمية التي ماكان لها أن تفشو إلا في ظل وجود هذه المافيا فأصبحنا نسمع عن الاغتصاب وزنا المحارم والجرائم ضد الأصول وهي جرائم ظهرت بسبب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها شعوب هاته البلدان وكذلك غزو المخدرات للمدارس والبيوت لذلك وبالرغم من المحاولات التي تقوم بها الدول لمحاربة تجارة المخدرات فإن غظ الطرف عن غلق الحدود يعد عاملا مساعدا لهاته التجارة ومن ثم عاملا ميسرا للظواهر الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بها والتي تضر بالأسرة و المجتمع ككل.

المبحث الرابع:دور الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي في تعزيز مفاهيم الوسطية في المجتمع المغاربي .

لا يمكن للمجتمع المغاربي أن يعيش غير الوسطية إن هو أراد أن يعيش في أمن واستقرار، لذلك فكل ضرب في مكتسبات الوسطية وتكريس لمعوقاتها هو العيش في فوضى واضطراب، من هنا نعتقد أن التربية على الوسطية تحتاج لمنهاج تربوي يكرس الوسطية في الناشئة منذ الصغر، بل يجعلها منهجا لا يتصنعونه ولا يتكلفونه، ولما كان الإمام الشاطبي من رواد التربية في الغرب الإسلامي، فالسؤال العالق هو: هل تستطيع أصوله التربوية تعزيز مفاهيم الوسطية في المجتمع المغاربي.

للإجابة عن السؤال لا بد من الوقوف عند وجه العلاقة بين الأصول التربوية عند الإمام الشاطبي وفكر الوسطية في المجتمع المغاربي لتبين مدى استطاعة هذه الأصول من تعزيز مقومات الوسطية ودحض معوقاتها.

القطعية في الأصول التربوية ودورها في تعزيز مفاهيم الوسطية في المجتمع المغاربي.

المقصود بقطعيةالأصول التربوية هو بناء الفكر التربوي في منطلقاته ومرجعياته على الأصول العقلية والاستقراء، ورسم التوجهات الكبرى للتربية والرؤى الإستراتيجية من مصادر التربية القطعية لا من الأمور

[24] فاعلية النظام الضريبي بين النظرية و التطبيق، ناصر مراد ص 162 دار هومة للطبع الجزائر.

الظنية القابلة للتغيير والتبديل إذ لو جاز البناء على الظن لجاز قبول الشك و لو جاز قبول الشك لأدى ذلك إلى تغيير الأصول التربوية .

لذلك نقول بأن التوجهات الكبرى يجب أن تكون توجهات قطعية مبنية على التوحيد والقيم والتعمير باعتبارها قيما حاكمة للتربية، فالتوحيد هو أعظم مقوم في التربية، يتجلى ذلك في آثاره النفسية والخلقية والاجتماعية، فالفرد المؤمن بالله ربا يشعر بالاطمئنان النفسي لأن حياته ورزقه بيد الله وبالقوة والعزة والكرامة لأنه يستمد قوته من الله، ويتمكن من تقويم سلوكه وتهذيب نفسه، لأن الله مطلع على عمله عليم بما يجول في نفسه لقوله تعالى :﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾ (آل عمران:29) ولا شك أن كل ذلك له آثاره المجتمعية.

أما القيم فهي مظهر التربية وثمرتها المباشرة.يقول ابن القيم: "الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين[25] إن التربية المبتورة عن الأخلاق هو تكريس لانتشار الفساد والجريمة بشكل أوسع وبهذا فلا صلاح للعالم إلا بما دعا إليه القرآن الكريم من التمسك بالأخلاق الحميدة. ولا نجاح للتربية حتى تقوم على أسس العقيدة والعبادة والأخلاق[26].

وأما التعمير فهو الاستجابة لإرادة الله تعالى في الكون، والقيام بالربط بين الموجودات وتوجيه العلاقة بينها باتجاه تلبية مراد الله تعالى، وتأسيسا على ذلك تصير عملية إعادة البناء عبادة لله وطاعة له، ومنزلا لتحقيق تكامل هذا الإنسان الخليفة في كافة الأبعاد الروحية، والعقلية والقلبية، وليست عملية غزو للطبيعة، ولا قهر لها.[27]

إن عملية العمران هي عملية شاملة تشمل الإنسان الفرد كما تشمل المجتمع كله، وعليهفإن الحديث عن صلاح الفرد وقدرته على التعمير هو أساس التربية التي تأخذ بلبّ المرء فتجعله يرتقي من حال إلى أحسن، في العمل والمعتقد ونحوهما فيكون مساهما في توجيه الحضارة الإنسانية وصياغة أجوبة سديدة لمختلف ما يموج في الواقع من صراع فكري بين تيارات مختلفة تريد أن تبخس من التربية الإسلامية.إن إشكالات المنطقة المغاربية جاءت نتيجة تغيرات وقعت في البنية الإيمانية والنفسية والفكرية لأبناء هذه المنطقة، ونتيجة انحرافات فكرية وسلوكية جماعية وفردية، وبالتالي تفككت شبكة العلاقات داخل المجتمع الإسلامي، كما قال بذلك المفكر الجزائري مالك بن نبي، وظهرت فينا القابلية للاستعمار[28].

إن أخطر ما يتهدد البلدان المغاربية هو أزمة الفكر التي أفضت إلى ظهور ألوان من التطرف اختص به ناس لديهم فهم منغلق للإسلام، وجدوا أوضاعا مأزومة، وفكرا ضعيفا لا يعرف الإسلام حق المعرفة، فاصطادوا في الماء العكر وخلفوا أشكالا من العنف وإقصاء الآخر.

---

[25] –مدارج السالكين ابن القيم، ج1 ص 207 السنة المحمدية.

[26] –فلسة التربية في القران الكريم عمر أحمد عمر ص 320.

[27]– نفسه ص35.

[28] –تحدث المفكر الجزائري مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة عن الاستعمار والشعوب المستعمرة وعن معامل الاستعمار والتكيف معه، وزارة الثقافة والفنون والتراث دولة قطر.

إن التطرف، دينياً كان أو سياسيًا أو عرقيًا، لا يشكل خطرا إلا حين يتحول إلى عنف، أي حين يتحول إلى حركة مادية رافضة لوجود الآخر، ومطالبة بإقصائه، وما دام مجرد خطاب نظري، فلا يشكل خطرا حقيقيا على الهوية الإسلامية، لأن التاريخ يصفي الحركات المتطرفة، وقد ظهرت في التاريخ الإسلامي حركات متطرفة، نظريا وعمليا، ولم تهدد هذه الهوية[29].

لذلك كان التربية على الأصول القطعية التي جاء بها الإسلام سبيلا لدحض أفكار التطرف من المجتمع المغاربي .

-المقاصدية في الأصول التربوية ودورها في تعزيز مفاهيم الوسطية .في المجتمع المغاربي : ارتبطت الأحكام الشرعية ببعدها المقاصدي ارتباطا وثيقا، إذ إن قبول الأعمال وترتب الثواب عليها يدور مع القصد وجودا وعدما، فكلما أحسن العبد مقصده وصح باعثه كان سببا لقبول عمله ومضاعفة أجره وكلما ساء قصده كان سببا في إحباط عمله قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته لله و رسوله فهجرته لله و رسوله و من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته لإلى مات هاجر إليه)[30]

وقد بين الإمام الشاطبي في حديثه عن مقاصد المكلف في التكليف البعد الأخلاقي في مقاصد المكلف مشيرا إلى أهميتها في التصرفات و السلوكيات حيث يقول :(الأعمال بالنيات و المقاصد المعتبرة في التصرفات من العبادات و المعاملات)[31].

ويظهر البعد الأخلاقي جليا في قصد المكلف من خلال موافقة قصد المكلف لقصد الشارع في التشريع : فكل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم يشرع له فعمله باطل [32]

هذه القاعدة من شأنها أن تدفع المكلف وتوجهه نحو السلوك الأخلاقي السليم لعلمه أن التكاليف إنما وضعت في أساسها تحقيقا لمصلحة المكلف الخاصة والعامة دنيا وآخرة .

من هنا تأتي أهمية التربية المقاصدية في توجيه سلوك المكلف لإخراجه عن داعية هواه ليكون عبداً لله اختياراً كما هو اضطراراً، وعليه فبناء مفاهيم الوسطية في المجتمع المغاربي مرتبط ارتباطا وثيقا بتصحيح الباعث لدى الناس، بل بربط الأعمال ببعدها الأخروي إذ لو صح الباعث وربطت الأعمال ببعدها الأخروي ما ظهرت أشكال العنف التي ظهرت في البلدان المغاربية.

إن تحقيق الوسطية في المجتمع المغاربي يحتاج إلى تربية تمكن الأفراد والمجتمعات من تصحيح النيات مع الله فيكون دأبهم السلام والوئام لا العنف والتطرف كما أن الالتفات إلى معاني النصوص تحتاج إلى معرفة

---

[29] -أزمة الهوية في البلان المغاربية مقال لمحمد يتيم نشر في موقع إسلام ويب 2002/6/29

[30]- صحيح البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم1

[31]- الموافقات 606/2

[32]- الموافقات 615/2

الواقع و أحواله فلا يفتين أحدهم دون النظر إليه.ولا شك أن تكريس مفاهيم المقاصد في التربية كفيل بإنشاء جيل يؤمن بالوسطية ويحظ عليها .

المطلب الثالث : التعلم الفعال ودوره في تعزيز مفاهيم الوسطية في المجتمع المغاربي

تعيش الدول المغاربية أزمة تعليمية كبيرة بالرغم من أنها تنفق عليه أمولا طائلة، وبالرغم من استيراد مجموعة من النظريات التعليمية الغربية وإدماجها في منظومة التعليم .وبالرغم من المراتب المتدنية التي يرتب بها التعليم في هذه البلدان فإن إصلاحه لن يكون إلا بالعودة إلى التراث الإسلامي لاستمداد مناهج تربوية تناسب المجتمع المغاربي. ولاشك أن من أهمها ما جاء به الإمام الشاطبي.

لقد رسم الإمام الشاطبي منهاجا تربويا متكاملا حين ركز على جميع أركان العملية التعليمية، على المادة العلمية والمدرس وطريقة التدريس.والتلميذ.

أما المادة العلمية فوضع لها ثلاثة معايير: الأصالة، والإمتاع، والفائدة العلمية،

وأما المعلم فجعل له علامات وهي:

-العلم بما علم حتى يكون قوله مطابقا لفعله، فإن كان مخالفا له فليس بأهل لأن يأخذ عنه.

-وأن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم.والاقتداء بمن أخذ عنه والتأدب بأدبه

وأما الطريقة: فقد ميز بين طريق تقريبي يليق بالجمهور، وطريق لا يليق بالجمهور، ليقرر بذلك إحدى القواعد التربوية الأساسية التي انتهى إليها فلاسفة التربية في العصر الحديث. وهي قاعدة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

وأما الطالب: وهو المقصود بعملية التربية والتعليم كلها.فقد أكد على ضرورة توجيهه ومراعاة مؤهلاته العلمية والنفسية والبدنية يقول الشيخ القرضاوي عن الشاطبي: (وأبرز ما التفت إليه، ونبه عليه هو ما يتعلق بنظرية "التوجيه التربوي" وتوزيع الطلاب والناشئين على التخصصات من العلوم والأعمال المختلفة، وفق القدرات الذهنية والبدنية، والاستعدادات الفطرية، والميول المهنية، فلا يرغم طالب على علم لم يتهيأ له عقليا ولا نفسيا، ولا يوجه إلى عمل لا يلائم مواهبه وتطلعاته واستعداداته الفكرية أو الجسمية[33]لذلك فلاشك عندي أن المنهاج التربوي الذي رسمه الشاطبي قد يكون طفرة نوعية في ترسيخ القيم في المجتمع المغاربي إذ التعليم المغاربي ما عرف الفشل في تكريس القيم إلا حين ركز على البعد المادي في التعليم، بل حين غفل عن تدريس القيم الإسلامية بالشكل اللازم في المدرسة المغاربية.

إن أغرب ما يتصور اليوم أن تجد بعضا ممن لجأوا إلى بعض العمليات الإرهابية ناس قد وصلوا من العلم الدنيوي مبلغا عظيما، لكن في مقابل ذلك غاب عنهم العلم الشرعي الموسوم بقبول الاختلاف وفكر الوسطية.

إن حضور فكر الوسطية في كل ركن من أركان العملية التعليمية التي أشار إليها الشاطبي كفيل بتنشئة جيل يؤمن بالوسطية ويحارب كل ألوان العنف والتطرف .

[33] التربية عند الإمام الشاطبي، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد التاسع، 1412هـ – 1991م ص 28

المطلب الرابع :الانفتاح ودوره في تعزيز مفاهيم الوسطية في المجتمع المغاربي.

لا خلاف في أن المجتمع المغاربي مجتمع منفتح على الثقافات الأخرى يستلهم منها ما يناسبه وينبذ كل ما يخالفه، وعليه فلا مكان للغلو والتطرف في فكر مجتمعاتنا المغاربية إلا ما زرعه من ليس لديهم ثقافة الحوار والتعايش والسماحة، من هنا يتضح أن ماعرفه المجتمع المغاربي من أشكال من القتل والإقصاء هو مخالف للقيم التي تربى عليها، بل مجانب للمنهج التربوي الذي جاء به الإسلام وكرسه المذهب المالكي.لذلك فنظرية الشاطبي التربوية المبنية على الانفتاح و النظر للمصلحة الشرعية لا يمكن إلا أن تزكي ثقافة الحوار بين الأطياف المختلفة بل لتنقض ألوان البدع والتشدد الذي عاشه في زمانه ويتجدد في زماننا،

إن الانفتاح على الثقافات الأخرى باستلهام ما يناسب عاداتنا ومعهودنا الشرعي والعرفي قد يمكن هذه الأمة من أن تقوم بدورها الحضاري أحسن قيام بل من أن تكرس ثقافة الحوار وقبول الآخر في فكر شبابنا، فلا مكان للتطرف في فكر عرف الاختلاف ولا مكان للغلو في فكر عرف التيسير ولا مكان للتطرف في فكر يسعى إلى ابتغاء الخير للعالمين.

إننا أمام بناء فكري يسعى إلى قبول الآخرين مصداقا لقوله تعالى" ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين"[34].

خاتمة

لا خلاف في أهمية التربية في تكوين جيل يؤمن بالوسطية ويحارب كل أنواع الغلو والتطرف، ولا خلاف في أن الخلل فيها يؤدي إلى إشكالات قيمية قد تعصف باستقرار المجتمع وأمنه، لذلك جاء البحث ليعالج مدى العلاقة بين فكر الشاطبي التربوي والذي يعد من أعلام الغرب الإسلامي وبين مفاهيم الوسطية في المجتمع المغاربي، ومن أبرز النتائج التي خلص إليها البحث ما يلي :

-يقوم الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي إجمالا على أسس أربعة وهي القطعية والمقاصدية والتعلم الفعال والانفتاح.

-تعتبر الوسطية مقوما من مقومات المجتمع المغاربي يتجلى ذلك في المذهب المالكي والأخوة المجتمعية والانفتاح على الثقافات الأخرى لكنه في مقابل ذلك تصطدم بمجموعة من الأمور تعوق تحقيقها مثل التدخل الغربي في تحقيق عدم الاستقرار والبعد الأمني و الإشكالات الاقتصادية والاجتماعية .

-الأصول التربوية الأربعة تستطيع تحقيق مفاهيم الوسطية في المجتمع المغاربي إن ربي عليها، فالقطعية تجعل من ثوابت الأمة وهويتها محفوظة والمقاصدية تمكن من وزن الأمور بميزان النص والواقع فلا ينظر إلا الظواهر دون النظر في الواقع أما التعلم الفعال الذي يغير السلوك ويجعل التلميذ أكثر ايجابية فهو سلاح المجتمع للتعمير لا الهدم وهو سلاحها لمحاربة كل فكر يريد الإقصاء وعدم قبول الآخر ولا شك أن ذلك يجعل المجتمع أكثر انفتاحا على ثقافات الآخرين فيستفيد منها بحسب ما يراه مناسبا لدينه وعاداته وهويته.

[34] سورة آل عمران الآية 159.

-إن تمكين المجتمع المغاربي من فكر تربوي يناسب هويته وثقافته هو سبيل نجاح هذا المجتمع والمحافظة على مقومات الوسطية، لذلك فتربية المجتمع على أصول فكر الشاطبي التربوي سيمكنه من محاربة كل فكر يجانب الوسطية .

توصيات:

- **تمكين المجتمع من فكر الشاطبي عموما ومن فكره التربوي خصوصا**
- **تربية الأمة على ثقافة الوسطية انطلاقا من تراثها**
- **إعادة النبش في التراث الإسلامي لاستخلاص نظريات تربوية تناسب المجتمع المغاربي عوض الاستعاضة عنها بنظريات غربية قد تكون أصعب في التطبيق.**

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم رواية ورش

- أزمة الهوية في البلدان المغاربية مقال لمحمد يتيم نشر في موقع إسلام ويب 2002/6/29

– التربية عند الإمام الشاطبي حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، العدد التاسع، 1412هـ – 1991م

– تقرير لوكالة ميدي 1 الجمعة 1 غشت 2014

– التنافس الدولي في منطقة المغرب العربي ورقة مقدمة في ندوة المغرب العربي و التحولات الراهنة الإقليمية الراهنة 17شباط2013 فبراير

– الجزيرة نت حوار لسامي حداد في برنامج القلعة الأوربية و زحف الهجرة الإفريقية 18 يوليوز 2006

– خصائص التعلم الفعال عند أبي إسحاق الشاطبي تأصيل الرؤية وتجديد النظر حسن قايدة سلسلة بحوث تربوية محكمة المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين وجدة

– صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة بيروت ط3 1400هـ، 1980.

صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ط2 1972م.

– ظاهرة التهريب و انعكاساتها على اقتصاديات الجهة الشرقية إدريس حوات غرفة التجارة والصناعة 2004

– ظاهرة الفقر في الجزائر و آثارها على النسيج الاجتماعي في ظل الطفرة المالية البطالة و التضخم د حاج قويدقورين الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية العدد 12 جوان 2014

– العلاقات الجزائرية المغربية في فترة الحرب الباردة عتيقة نصيب بحث لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية جامعة محمد خيضر بسكرة

– فاعلية النظام الضريبي بين النظرية و التطبيق ناصر مراد دار هومة للطبع الجزائر

– الفكر التربوي عند ابن القيم، الحجاجي، حسن بن علي بن حسن دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة . (1408هـ – 1988م)

– فلسفة التربية في القرآن عمر أحمد عمر دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع 2001.

– مدارج السالكين ابن القيم، السنة المحمدية

– المندوبية السامية للتخطيط

– الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق الشيخ عبد اله دراز دار الحديث القاهرة 2006

– الوسطية مطلباً شرعياً وحضاريا، د. وهبة الزحيلي سلسلة الأمة الوسط المركز العالمي للوسطية

– الوسطية من أبرز خصائص هذه الأمة، عبد الحكيم بن محمد بلال مجلة البيان،